المحاضرة السابعة:

ثالثا- الأقسام الأنثروبولوجيا الثقافية:

على الرغم من تعدد العناصر الثقافية، وتداخل مضموناتها وتفاعلها في النسيج العام لبنية المجتمع الإنساني، فقد اتفق الأنثروبولوجيون على تقسيم الانثروبولوجيا الثقافية إلى ثلاثة أقسام أساسية، هي:(علم الآثار- علم اللغويات- وعلم الثقافات المقارن) وفيما يلي شرح لكل منها:

1-علم اللغويات:

هو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات الإنسانية، المنقرضة والحية، ولا سيما المكتوبة منها في السجلات التاريخية فحسب، كاللاتينية أو اليونانية القديمة، واللغات الحية المستخدمة في الوقت كالعربية والفرنسية والإنكليزية.. ويهتم دارسو اللغات بالرموز اللغوية المستعملة، إلى جانب العلاقة القائمة بين لغة شعب ما، والجوانب الأخرى من ثقافته، باعتبار اللغة وعاء ناقلاً للثقافة.

إن اللغة من الصفات التي يتميز بها الكائن الإنساني عن غيره من الكائنات الحية الأخرى، فهي طريقة التخاطب والتفاهم بين الأفراد والشعوب، بواسطة رموز صوتية وأشكال كلامية متفق عليها، ويمكن تعلمها.. علاوة على أنها وسيلة لنقل التراث الثقافي/ الحضاري، حيث يمكن استخدام معظم اللغات في كتابة هذا التراث.

يحتل علم اللغة مكاناً ممتازاً في مجمل العلوم الاجتماعية التي ينتمي اليها، فهو ليس علماً اجتماعياً كالعلوم الأخرى، بل العلم الذي قدّم إنجازات عظيمة، وتوصل إلى صياغة منهج وضعي ومعرفة الوقائع الخاصة ولذلك، ارتبط علماء النفس والاجتماع والأثنوغرافيا بالحرص على تعلم الطريق المؤدية إلى المعرفة الوضعية للوقائع

الاجتماعية، من علم اللغة الحديث. يدرس علماء الأنثروبولوجيا، اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي، في المكان والزمان، ويقوم بعضهم باستنتاجات تتعلق بالمقومات العامة للغة وربطها بالتماثلات الموجودة في الدماغ الإنساني، ويقوم آخرون بإعادة بناء اللغات القديمة من خلال مقارنتها بالمتحدّرات عنها في الوقت الحاضر، ويحصلون من ذلك على اكتشافات تاريخية عن اللغة.

وما يزال عدد من علماء الأنثروبولوجيا اللغوية، يدرسون اختلافات اللغة ليكتشفوا الادراكات والنماذج الفكرية المختلفة، في عدد وافر من الحضارات. ويدخل في ذلك، دراسة الاختلافات اللغوية في سياقها الاجتماعي، وهو ما يدعى (علم اللغة الاجتماعي) الذي يدرس الاختلاف الموجود في لغة واحدة، ليظهر كيف يعكس الكلام الفروقات الاجتماعية (Kattak , 1994 ,10) .

إن التشابه المنهجي الشديد بين علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا من جهة، و علم اللغة من جهة أخرى، يفترض واجباً خاصاً من التعاون فيما بينها، حيث يستطيع علم اللغة أن يقدم البراهين المساعدة في دراسة مسائل القرابة، من خلال تقديم أصول الكلمات وما ينتج عنها من علاقات في بعض ألفاظ القرابة التي لم تكن مدركة بصورة مباشرة، من قبل عالم الأنثربولوجيا او عالم الاجتماع، وبذلك يلتقي علماء الأنثروبولوجيا، بهدف مقارنة الفروع التي ينتجها هذان العلمان، ويقترب اللغويون من علماء الأنثروبولوجيا، أملين في جعل دراساتهم أكثر واقعية ، وفي المقابل، يلتمس الأنثروبولوجيون اللغويين كلما توسموا فيهم القدرة على إخراجهم من الاضطراب الذي ألقتهم فيه على ما يبدو ، ألفتهم الزائدة مع الظاهرات المادية والتجريبية (ستروس ، 1977 ، ص 49 و 92)

ولذلك، يلاحظ أن فرع اللغويات هو حالياً من أكثر فروع الأنثروبولوجيا الثقافية، استقلالاً وانعزالاً عن الفروع الأخرى فدراسة اللغات يمكن أن تجرى دون اهتمام كبير بعلاقاتها مع الجوانب الأخرى في النشاط الإنساني، وهذا هو الواقع في حالات كثيرة. ومما لا شك فيه، أن اللغات – بما فيها من تراكيب معقدة و غريبة، وما تنطوي عليه من تنوع هائل، ولا سيما عند الشعوب البدائية، تزود الباحث بمادة دراسية غنيّة لا يمكن حصرها (لينتون، 1967، ص 20)

ولذلك ، يعطي /ليفي ستروس/ أهمية بالغة للغة ويعتبرها أحد الأركان الأساسية في علم الإنسان، إن لم تكن حجر الزاوية في ذلك العلم، وعلى أساس ان اللغة هي الخاصية الرئيسة التي تميز الإنسان عن الكائنات الحية الأخرى. ولذلك، يعتبرها الظاهرة الثقافية الأساسية التي يمكن عن طريقها، فهم كل صور الحياة الاجتماعية. وهذا ما يؤكده في كتابه (المناطق المدارية الحزينة) والذي يعرف في العالم العربي باسم (الأفاق الحزينة) وهو نوع من السيرة الذاتية في قالب انثروبولوجي، حيث يقول: "حين نقول الإنسان.. فإننا نعني اللغة. وحين نقول اللغة فإنّنا نقصد المجتمع.."

وهذا ما دفعه إلى استخدام مناهج اللغويات الحديثة وأساليبها، في تحليله للمعلومات الثقافية، وكل مادة غير لغوية كما جعله يعطي الكلمة (الدال) من الأهمية أكثر مما يعطي للمعني (المدلول)، ولا سيما أن الدال الواحد (الكلمة الواحدة) قد يكون له مدلولان مختلفان بالنسبة لشخصين مختلفين، وذلك تبعا لاختلاف تجاربها. بل أن الدال الواحد، قد تكون له مدلولات مختلفة بالنسبة للشخص نفسه، وفي أوقات أو ظروف مختلفة (أبو زيد، 2001، ص 86)

وعلى الرغم من أن علماء اللغة لم يتمكنوا من تحديد أسبقية لغة على أخرى، فقد توصلوا من خلال دراساتهم إلى تصنيف اللغات المختلفة بحسب طبيعتها واستخدامها، في ثلاثة أقسام هي:

-**اللغات المنعزلة:** وهي اللغات التي تتخاطب بها فئات منعزلة عن الفئات الأخرى، ولا تفهمها إلا تلك الفئات المتحدثة بها، وهي لغة لا تكتب وليس لها تاريخ.

-**اللغات الملتصقة:** وهي اللغات التي تتخاطب بها شعوب كبيرة، ولكنها ملتصقة بهم وبتراثهم. وهي لغات معروفة، ولكن ليس لها قواعد، وإنما تعتمد على المقاطع والكلمات، مثل: اللغة الصينية.

-**اللغات ذات القواعد (النحو والصرف):** وهي اللغات الحديثة التي تستخدمها الأمم المتحضرة، لها قواعد نحوية وصرفية، تضبط جملها وقوالبها اللغوية، مثل: اللغة العربية، واللغات الأوربية (زرقانة، 1958، ص 148)

ومهما يكن هذا التقسيم، فإن اللغات المستعملة في العالم، جميعها، شكلت من أصوات متناسقة تدل على هذه اللغة أو تلك، وفق أصول و قواعد خاصة بها.

ولهذا يقسم علم اللغويات إلى أقسام فرعية، من أهمها: علم اللغات الوصفي، وعلم أصول اللغات.